المحاضرة الخامسة

الأحلام من منظور انثربولوجي تحليلي

1- الحلم في علم النفس التحليلي:

في علم النفس التحليلي، الحلم هو عملية طبيعية نابعة من العقل الباطن. على هذا النحو، يشمل العديد من الوظائف، يعتبر يونغ الحلم أنه «عضو للمعلومات والتحكم وهو ذو وظيفة مزدوجة»: وظيفة تعويضية ووظيفية مستقبلية، بالإضافة إلى كونه منظمًا فسيولوجيًا.

يعتبر فرويد الحلم صدى ، أو نوعاً من التواصل مع كل الأحداث النهارية التي سبقته ، فكل حلم بالنهاية يمتاح ويستقي من التجارب النهارية (أحداث النهار السابق خصوصاً) ، وإن كان يعود إلى الطفولة أحياناً لشرح العقد الكامنة ، إلا أنه يعتبر أحداث النهار السابق هي المنبه والمحفز الذي بعث بهذا الحلم دون غيره ، بصور دون غيرها ، وأساساً بتفاصيل دون أخرى . إن أحداث اليوم السابق تؤثر وترتبط بالمقدرة على تفسير الحلم ، وبدون هذه المعرفة لا يمكن تفسير الأحلام. إن هذا الربط ضروري ولازم بين الحلم وبين أحداث النهار الذي سبقه ، والتي دفعت الحلم إلى البروز ، ومن دونه (أي من دون هذا الربط) ليس بالإمكان القيام بالتفسير . ولأنه اعتمد هذا الأسلوب اضطر إلى تحديد العمليات النفسية التالية : التعيين ، الربط بين فكرتين ، ربط بين الكلام "الحلمي والنهاري" ، إذ أن كل الأحاديث التي تحصل في المنام هي أكيد منظورة مسبقاً (أي مرئية ومسموعة في الحياة النهارية).

2- الحلم في الأنثربولوجيا:

اهتمت الأنثروبولوجيا بدراسة الأحلام كمجال حديث كما درسها علم النفس منذ عقود نظراً لكونها ترمز لثقافة الحالم من ناحية ومن ناحية أخرى وظيفتها الاجتماعية والثقافية في المجتمع الذي يعيش فيه مما يجعلها مختلفة عن علم النفس الذي يهتم بالجانب النفسي للحلم عند الإنسان ودوره في ظهور وتفسير الأحلام التي تلعب دوراً مهماً في حياتنا اليومية،حيث يوفر لنا الراحة من عبء شحنات اليقظة بما فيها من خير وشر من متاعب ومن هموم فالحلم هو حياة يعيشها الإنسان محوماً بالعلاقات الاجتماعية المحيطة به في الواقع لكن بدون

حواجز أو قيود تكبت الشخصية عن التعبير بحرية مخترقة الحاجز الزمني بل أحيانا تحمل رموزاً تنبؤية للمستقبل أو تقدم حلولاً لمشكلات يصعب حلها كنوع من الأفكار المقترحة.
ولذلك جاء دور الانثروبولوجيا في دراسة وتحليل الأحلام الخاصة بكل مجتمع في مختلف المراحل السنية والثقافية وتحديد محتواها ودورها العلاجي في الأمراض النفسية وتقوية الجهاز العصبي فهي انعكاس لصورة وكيان الإنسان الحقيقية التي تخشى الظهور للمجتمع.

3- الأحلام من منظور ثقافي نفسي:

إن للحلم أهمية ، إلا أنها اتخذت حجماً أكبر من حجمها – وهذه نتيجة من نتائج كتاب فرويد – الذي أسس لمنظور يدّعي تخليص الأحلام (وتفسيراتها) من التفكير الشعبي ، ومن الطرق الصوفية أو الوجدانية في التفسير.

نشأ الاهتمام بالأحلام منذ نشأة البشرية، ويُرجع الأنثروبولوجيون إلى الأحلام بداية تقديس البشر للموتى ؛ إذ يرونهم يعيشون ثانية في أحلامهم، وأدى ذلك أيضاً إلى نشوء الأديان الوضعية والسحر والكهانة، وتمتلىء الأساطير الأولى للشعوب بالأحلام والرؤى، وكذلك الكتب المقدسة والملاحم القديمة وقد وردت الأحلام في أقدم الآداب الأوروبية المعروفة، في ملحمة جلجامش، وفي القصص الفروعني، وكذلك عند هوميروس، في كل من الإلياذة والأوديسة.ووردت الأحلام عند العرب منذ القدم، وتحدث عليها القرآن الكريم في أكثر من موضع، موحياً أن هناك ما هو أضغاث أحلام، ومنها ما هو رؤى، فقد رأى سيدنا إبراهيم في المنام أنه يذبح ابنه، وهي رؤيا بعثها الله سبحانه وتعالى إليه في صورة حلم، وقام بتنفيذها بما أدى إلى الشعيرة المعروفة وهي الهدف من وراء الرؤيا. وهناك حلم حاكم مصر أيام النبي يوسف عليه السلام، وهي أكثر الآيات تفصيلاً للأحلام والرؤى. واستمر الاهتمام العربي بالأحلام وطبيعتها ومادتها، وتمثل ذلك في تفسيرات آيات الأحلام والرؤى في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، والتعليق عليها، وقام ابن سيرين بوضع أول محاولة عربية لتفسير الأحلام. ويعكس دور الأحلام في ألف ليلة وليلة والقصص العربية الأخرى قدر الاهتمام الذي أولاه الأدب الشعبي والفولكلور للحلم والرؤى. ففي بداية الفيلم الذي أعده المخرج الإيطالي ‘بازولينى’ عن ألف ليلة وليلة، ظهر على الشاشة اقتباس يقول: ‘العمل الفني لا يتكون من حلم واحد فحسب، بل من أحلام عديدة’. وهو لم يفعل ذلك عبثاً ؛ فالواقع أن

الأحلام والرؤى تلعب دوراً هاماً في حكايات ألف ليلة وليلة. والواقع أن الكتاب ذاته، بحكم طبيعته وظروفه _قصصه وحكاياته تسرد كلها ليلاً ـ يشكل حلماً طويلاً متصلاً، يزخر بكل أنواع النشاط الإنساني، ويمتلىء بالرغبات والشطحات والأماني والكوابيس المزعجة ومواقف الفرح والبهجة. وإذا ألقينا نظرة على شكل الأحلام في ألف ليلة وليلة ومضمونها، يتبدى لنا أن لها دوراً سطحياً إلى حد ما ؛ إذ هي رموز واضحة لما سيتلو بعدها من أحداث، أو هي دليل يهدي صاحب الحلم إلى حل مشاكل يصادفها. ومن أمثال ذلك، حلم الأب ـ صاحب البنات السبع ـ بطير غريب يخطف منه أحلى جوهرة يجدها في الكنز، وكذلك حكاية المتوكل مع محبوبة وحلمها. بيد أنه ثمة أحلاماً ‘مركبة’ يلعب فيها الحلم دوراً في حبكة القصة وسرديتها، مثل حكاية صاحب الكنز المدفون، الذي يدفعه حلمه إلى الترحال ثم العودة لاكتشاف الكنز، فهنا يلعب الحلم دوراً أساسياً في تطور أحداث القصة.